الباب الرابع والعشرون

ذكر الباشا عمار

ثم أمر السلطان مولاي أحمد الباشا جودار بالمجيء إليه فى حدود العام السابع بعد الألف ، فكتب إليه أنْ يبعث منْ يقوم بالأرض ويكون وكيله على الجيش ، فبعث القائد المصطفى الفيل ، والقائد عبد المالك البرتغالى [1] . ثم رد إليه الجواب ثانيًا بعجلة أنهما لا يمسكان هذه الأرض لأن سلطان ملى قد تحرك وأراد المجيء إلى هذه الأرض ، وكذلك صاحب ماسنة حمد أمنة عزم على الرجوع فيها ، فليبعث الباشا واسمه عظيم فى الأسماع دون القياد .

فبعث الفتى عمار باشا وحده على راحلة دون الجيش ، وقد جاء معه قبل هذه المرة ألف رماة إلى سغى خمسمائة من العلوج ، وخمسمائة من الأندلسيين ، فلما وصلوا أظوات ذهبوا وافترقوا ، فسار العلوج إلى جهة فاهتدوا وسلموا وسار الآخرون إلى جهة فضلوا وماتوا جميعًا ، ومعهم الماحى مرسول القاضى عمر إلى مراكش بعد ذهاب المراسيل الأول فمات معهم .

(تولية الباشا عمار)

فأمر جودار بالمجيء حينئذ عزماً مؤكداً ، ولو كانت تلك الأرض كلها تنحرق بالنار ، وكل هذه المكاتبة والإرسال فى مدة قليلة . أما القائدان المصطفى وعبد المالك فوصلا مدينة تنبكت فى شهر جُمادى الأول سنة سبع بعد الألف . وأما الباشا عمار فوصل فى شهر رجب فى السنة المذكورة ، وأما الباشا جودار فتجهز للرجوع إلى مراكش يوم الخميس السابع والعشرين من شعبان فى العام المذكور .

ثم إن سلطان محمود صاحب ملى [2] تجهز لغزو أهل مدينة جنى ، فبعث مرسوله لكل متاع بكر يعلمه بذلك ، وطلب منه المساعدة عليها وهو فى بلد كنتى يومئذ فسأل المرسول هل معه سنقر زومع ، ومعه فرن سرًا فقال : لا ، فقال له : بلّغه منى السلام وقُلْ له : انتظره هنا إن شاء الله ، فلما أدبر قال لأصحابه : هذا ليس بشيء حيث لم يتبعه هذان الأكبران من خدامه .

---

(١) البرتغالى : نسبة إلى البرتغال .

(٢) ملى : هى مالى ، وكانت سلطنة ثم أصبحت تحت حكم السنغاى .

فلما قرب خرج كل شاع بين يديه إلى جنى ، وما أجاب دعوته من سلاطين كل وبنك إلا فدككى ، وأمكى ، وحمد أمنة صاحب ماسنة . وقد بعث بخبره الحاكم سيد منصور الذى على جنى للباشا عمار ، وطلب منه الإغاثة ، فوجه إليهم محلة فيها القائد المصطفى الفيل ، والقائد على بن عبد الله التلمسانى .

فلما وصلوا مدينة جنى ضحوة الجمعة آخر يوم من رمضان فى العام المذكور صادفوا بنزوله مع عسكره ساعتئذ فى رمل سانون كلها لكثرتهم ، حتى إنتهوا إلى الرجل الذى لا يدخل منه القوارب إلى المدينة فتقاتلوا عليها ، وما نجاهم عنها إلا كثرة النيران من خبط المدافع .

فتالت القوارب الطريق للوصول إلى المدينة فتشاور الحاكم سيد منصور مع أصحاب الرأى ، فقال له : كل شاع بكر يخرج لهم الآن ، وإذا بات هذه الليلة لا من عليه قوم هذه الأرض كلهم ، فقال لهم سيد منصور الميعاد لملاقاتهم بعد صلاة ظهر الجمعة .

فخرجوا لهم حينئذ ومعهم جنكى كنب بن إسماعيل ، فهزموا ملى كى وعسكره فى طرفة عين ، وقتلوا منهم كثيراً وهرب هو على حصانه فتبعه كل شاع بكر ، وسرى محمد حتى وصلوا الماء وحيّوْهُ تحية السلطان ، وقلعوا قلانسهم تعظيماً له ، وقالوا له: عليك بتعجيل السير لئِلاَّ يلحقوك من لا يعرفوك ، ويفعلوا بك ما لا يليق ، فودَّعوه ورجعوا .

فلما فرغوا من طرده وقتاله رجعوا جميعاً القواد والجيش نصف ليلة السبت وهى ليلة العيد ، فلما صلوا العيد عزموا على غزو حمد أمنة وحلاته فى بلد سأ قرية فى قرب المدينة ، فقال لهم كرمن فارى بكر بن يعقوب :

إنه صاحب رحاله وأمره ليس شديداً ، وإنما الشديد أمر أمكى الذى هو حضرى، وأمسك بعضد ملكى حتى وصله إليكم فردوا العزمة إليه فتوجهوا نحوه فخربوا بلد (سع) وغنموا فيه مالاً كثيراً لأنه سوقُ التجارة يومئذ ورجعوا إلى جنى فاصطلحوا مع حمد أمنة ، وردوا له عياله الذين سبوْهم فى تلك الواقعة ، وعزلوا حمد عائشة وجاءوا به إلى تنبكت وسجنوه فيه إلى أنْ تُوفى فى مدة الباشا محمود كتك .

أما الصلح المذكور لم يقع إلا بعد وقعة سليمان شاوش وهو كاهية يومئذ ، وذلك لما رجعوا من فتنة (سع جمع فندنك) حمد أمنة جماعة كثيرًا من كفار بنبر مع جيشه ،

فتوجه نحو القبلة للفتنة ، فبعث أهل جنى محلة للقائه وجعلوا عليه الكاهية سليمان شاوش ومعهم فندنك حمد عائشة فالتقوا فى بلد تى فاقتتلوا وقتل جميع الرماة ، ولم يَنْجُ من أهل المحلة كلها إلا اثنان رجلان .

فجاز حمد أمنة بحلاته إلى بطحاء دب فنصبهن فيها أياماً ، وهرب أهل حلة حمد عائشة إلى أرض بر وسكنوا هنالك زمناً طويلاً ، ثم رحل فندتك حمد أمنة ورجع إلى سأ واستأخر هنالك حتى وقع ذلك الصلح وردوا له جميع عياله فيهم زوجته عائشة فل ، وابنه الأصغر كلل ، وأمنة بنت فندتك بوب مريم زوجة ابنه الأكبر بوب يام الذى هو وصيه وولى عهده .

وعزل حمد عائشة وسجن ، ولَّما طلع (ميم) رحل إلى قياك عند فرن سرا بأهل ماسنة كلهم إلا قليلاً ، ومكث هنالك عاماً ، ثم رجع إلى برك ولم يبقَ له منازع ودخل فى طاعة أهل المخزن بالاسم فقط إلى هلم جرا .